شبابٌ من مختلف المناطق...

دخلنا مسلمين أو مسيحيّين

«تعشّى عند الدّرزي ونام عند المسيحيّ»... مثلٌ حطّمته بعد اثني عشر يوماً أيادٍ لبنانيّة الجنسيّة والمذهب ليندثر مع بقايا الأمثال والشّائعات والأحكام المسبقة التي تفرّق بين الطّوائف والمجموعات، وذلك ضمن فعاليات ورشة عملٍ «أكاديميّة حوار الأديان»، التي تنظّمها سنويّاً جمعيّة «حوارٌ للحياة وللمصالحة».

«هل بإمكانك أن تعلّمني الفاتحة لنصلّي سويّةً اللّيلة قبل أن ننام؟». «هل تعلّمني أيضاً صلاة «الأبانا» التي تصلّونها؟». «وبدأنا نصلّي إيلي وأنا؛ كنّا نتشارك وحدنا الغرفة ذاتها. وكان جسمي يقشعرّ فعلاً كلّ ليلةٍ عندما كنّا نصلّي. علّمتُه الفاتحة وعلّمني صلاة أبانا الذي في السّماوات... وهذا أكثر ما أثّر فيّ وحملته معي بحبٍّ كبيرٍ»، يقول حسن.

جاءوا من مختلف المناطق اللّبنانيّة ومختلف الطّوائف لبناء جسور التّعايش والمحبّة، إضافةً إلى التّعرّف إلى المجموعات الثّقافيّة المهمّشة. تامارا، إيلي، أدريانا، حسن، ماري-جو، ساري، رشا، وئام، ليا، ناصر، أموندا، خالد، ديما، طلال، دايانا، محمد، ريتا، رواد، آن – ماري، جاد، شيرين، وإيلي. اثنان وعشرون موضوع محبّةٍ، بالإضافة إلى المنظّمين: فانيسا، رمزي، ميريام، حسّان، ومؤسّس الجمعيّة ورئيسها الأستاذ المحاضر في جامعة سيّدة اللّويزة الدّكتور زياد فهد.

عَبَرنا «جسراً» صغيراً

«ما هو اسمك؟». هي محطّةٌ تلت الاتّفاق على العقد الاجتماعيّ، عَبَرَ خلالها كلّ شخصٍ «جسراً» صغيراً للمعوّقين تعبيراً عن إرادته بالانتقال من مرحلةٍ إلى أخرى، نحو الانفتاح والمحبّة. منهم من بدا متردّداً في البداية وآخرون متحمّسين. ثمّ عرّف كلّ مشاركٍ عن اسمه وعن المنطقة التي أتى منها، إضافةً إلى الخلفيّة. ثمّ رسموا الاسم على مغلّفٍ فارغٍ بصورٍ وأشكالٍ وألوانٍ متنوّعةٍ، تعبيراً عن الشّخصيّة. ولُصقت كل المغلّفات على الحائط للمراسلة. «كلّنا من ألوانٍ متعدّدةٍ ومختلفون، لكنّ لنتلاقَ ونكوّنَ صورةً جميلةً»، تقول ديما والضّحكة على وجهها. ثمّ تضيف: «هذا ما أثّر فيّ لأؤمن بما قمنا به في الأكاديميّة وما سنقوم به لاحقاً. لقد تعلّمت أن أكون منفتحةً للتّغيّر داخليّاً نحو قناعاتٍ جديدةٍ».

من جهتها، تمارا، دخلت إلى غرفتها التي تتشاركها مع أموندا، فاكتشفت أنّ عليها التّعمّق في ديانتها. «كنّا نتكلّم عن الدّيانات، وقرأنا من الإنجيل، أحببت ذلك! لكنّ كانت عندنا أسئلةٌ كثيرةٌ. اكتشفنا أنّ كلّ واحدةٍ منّا عليها أن تتعمّق

وخرجنا لبنانيِّين

أكثر في ديانتها لنفهم كيف نرتقي إلى سلام الرّوح وسلام المجتمع بشكلٍ ثابت».

بنبرةٍ صلبةٍ جبليّة، يقول طلال مدافعاً عن فكرته: «لِمَ أنتم ضدّ الزّواج المدنيّ؟ كلّ إنسانٍ حرٌّ، وله الحقّ في أن يتزوّج من يحبّ، إن كان مسيحيّاً أم مسلماً أم غيره». فيجيب إيلي: «بالتّأكيد من حقّ كلّ شخص أن يقرّر، ولست ضدّ من يختار الزّواج المدنيّ، لكنّني لست مع فكرة الزّواج المدنيّ لأيّ مسيحيٍّ كونه بذلك يضرب بعرض الحائط معتقداته المسيحيّة ويلغي شراكته مع الله والكنيسة».

لم يقتنع طلال، وبدت على وجهه علامات التّعجّب وعدم الرّضى، فتابع إيلي: «فليتزوّج مدنيّاً من أراد لكنّني أقف ضدّ الفكرة، وليس ضدّ الشّخص، ولا يمكنني أنا كنائبٍ لبنانيٍّ مسيحيٍّ مثلاً أن أشرّع لهذا القانون». هكذا بدأت النّقاشات في المشاغل في اليوم التّالي.

لا تفكّري بالرّدّ بل حاولي فهمه

استهلّت فانيسا المشغل، وهي إحدى المسؤولين في الأكاديميّة، بالقول: «عندما أحاور شخصاً يجب أن أدرك أنّني لا أملك الحقيقة كاملةً، وألاّ أحاول إقناع غيري بأفكاري فوراً، بل ينبغي أن أفهم ما يقول، أن أسأل أسئلةً استيضاحيّةً، أن ألخّص أفكاره، وربّما أن أعترف له بجزءٍ من الحقيقة». ثم قامت بتقسيم الطّلاّب إلى مجموعاتٍ ليختبروا إصغاءهم. شخصٌ يصغي، شخصٌ يعلن ويفسّر أفكاره، وثالثٌ يحكم. «أنا ضدّ فكرة أنّ الله موجود»، يبدأ إيلي مؤكّداً أنّ طرح هذه الفكرة ليس إلاّ استفزازاً ليصعّب عمليّة الإصغاء. فتردّ ريتا فوراً بنبرةٍ متعجّبة «كيف؟!»، فتتدخّل فانيسا «ممنوع يا ريتا إبداء الرّأي، عليكِ أن تصغي إليه، أن تسألي أسئلةً استيضاحيّةً فقط لفهم وجهة نظره. يجب أن لا تفكّري بالرّدّ عند سماع الآخر، بل أن تحاولي فهمه».

أمّا عن خبرتها كمنظّمة، فتؤكّد فانيسا بحماسٍ كبير:

لو كان لبنان طائفةً واحدةً...!

السّيّد «هاني فحص» حاضر في الأكاديميّة مشدّداً على ضرورة بناء دولةٍ مدنيّةٍ وثقافة مجتمعٍ مدنيٍّ. واستشهد بقولٍ للإمام جعفر الصّادق: "وليس الدّين إلاّ الحبّ"، وبالحديث الشريف: «لن تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابّوا...». وأوضح: «أن أحبّ للآخر ما أحبّه لنفسي. ومَن لا يُتقن هذا الحبّ، لا يتقن الحياة. أماننا ليس من طائفتنا. والسّلام المبنيّ على إلغاء الآخر كذبةٌ. فلو كان لبنان طائفةً واحدةً لتقاتلت فيما بينها، بسبب انتفاء وجود المحبّة».

«أصبحنا عائلة وهذا ما جعل الأكاديميّة تنجح. فلقد تخطّينا الفروقات الطّائفيّة. لاحظتُ انسجاماً عظيمًا في المجموعة، وثبُت لي أكثر أنّ ما يُقال خارجاً عن عدم إمكانيّة الاتّفاق بين الأطراف المختلفة هو غير سليم».

وتليها زيارة لعدّة كنائس من مختلف الطّوائف، وجامع الأمين في بيروت، والكنيس في وسط المدينة، ووادي القدّيسين، وجامع للعلويّين في الشّمال... بجملة بسيطة تعبّر شيرين عن خبرتها: «دخلت إلى الأكاديميّة مسلمةً، ولكنّني خرجت مسلمةً بهائيّةً مسيحيّةً يهوديّةً تركمانيّةً كرديّةً... لا أحبّ أن أقول تغيّرت، أفضّل استخدام كلمة الوعي، التي أيقظت فيّ الحسّ الإنسانيّ وتقبّل الآخر».

> المعرفة هي أساس المحبّة، فلا محبة من دون معرفة وانفتاحٍ وتلاق

تغييرٌ غريبٌ حصل لي

«لبنان يتذكّر المجموعات الثّقافيّة المهمّشة» كان عنوان الأكاديميّة هذه السّنة: تبدأ عدّة محاضراتٍ عن البهائيّين والأكراد والأتراك واليهود اللّبنانيّين والأقباط اللّبنانيّين والمسيحيّين العراقيّين.

الدّكتور زياد فهد يشير إلى أهدافٍ عدّةٍ للأكاديميّة: «منها أن نتذكّر المجموعات الثّقافيّة المهمّشة، أن ندرك معتقداتها وأفكارها، أن نكتشف روعة تراث الآخر وأهميّة التّنوّع في المجتمعات، وهذه هي إحدى مشاريع جمعيّة «حوارٌ للحياة وللمصالحة»؛ وهدفها بناء الجسور بين الأديان والثّقافات اللّبنانيّة المتنوّعة، إضافةً إلى نشر روح المسامحة وتخطّي الأحكام المسبقة من خلال معرفة بعضنا بعضًا».

محمّد وخالد وآخرون استصعبوا تقبّل موضوع اليهود اللّبنانيّين، «في البداية شعرت عند لقائنا مع المسؤول عن الكنيس بأنّني أريد ضربه، لكن تغيّرت نظرتي بعد الحوار معه وتجاوبه. كذلك دمعت عيناي عند مشاهدة الوثائقي عن رحيل بعضهم من لبنان. شعرت كم من الصّعب السّفر وترك البلاد تحت ضغوطات». ويتابع محمّد كلامه: «هناك تغييرٌ غريبٌ حصل لي، عندما كنّا نتكلّم عن اليهود كنت دائماً ضدّهم، وحتّى اليهود اللّبنانيّين منهم. لكنّ غريب! عندما خرجت من الأكاديميّة، صادف وجودي في أحد المجالس وأحدهم هاجم اليهود اللّبنانيّين بكلامه، فلم أتمالك نفسي، وناقشته بالفكرة وشرحت له أنّ اليهود اللّبنانيّين هم طائفةٌ لبنانيّةٌ معترفٌ بها ومهمّشةٌ».

غيّر نظرتي إلى الحياة

حان وقت الخدمة. شكّل الطّلاّب عدّة مجموعاتٍ صغيرة، وقاموا بزيارة مسيحيّين عراقيّين لجأوا إلى لبنان بفعل الاضطهاد. وفي يوم خدمةٍ آخر، زار الطّلاب المسيحيّون مؤسّسة الإمام المغيّب موسى الصّدر، وزار الطّلاب المسلمون داراً للأيتام وآخر للعجزة، ما أثّر جدّاً في رمزي. «شعرت أنّه كان اليوم الأوّل من حياتي». كذلك، شعر ساري بمعنى خدمة الآخر: «ساعدتُ أشخاصاً كانوا بحاجةٍ إلى أحدٍ يدعمهم، جعلتُ البسمة ترتسم على وجوههم. هذا النّهار غيّر كلّ نظرتي إلى الحياة. لا أعرف كيف! لكنّ الأكيد أنّه تغييرٌ نحو الأكثر إيجابيّةً».

في حديثٍ آخر، استهلّ الخوري فادي ضوّ كلامه عن الذين المسيحيّ طالباً كتابة رسالةٍ إلى مسلمين متشدّدين بفكرهم ضدّ المسيحيّة، لتوضيح ما يؤمن به المسيحيّون. وكتابة رسالة أخرى عن رأي المسيحيّين بالنّبوّة...

وأهمّ ما شرحه الخوري ضوّ: «أنا لا أحبّ أبداً قول كلمة أحبّك للآخر لأنّه إنسانٌ فقط، بل لأنّه إنسانٌ وأحبّه بدينه أيضاً، مهما كان دينه مختلفاً. هكذا يقوم النّضج على قبول الآخر، وهذه هي المحبّة الحقيقيّة. فالخوف الوحيد هو من الجهل، لذا يجب أن لا أخاف من فهم الآخر ودينه وتقبّلهما».

تبادل النّكات بروحٍ أخويّة

لم تخلُ نشاطات الأكاديميّة هذا العام من نظم الشّعر، فنظّم جاد أبياتاً عن الأكاديميّة في سهرة المواهب، وكذلك طلال نظّم شعراً سمّاه «درزي RAP»، وتعدّدت الفنون والمواهب. «بات الشّباب يتبادلون النّكات على ديانتهم بروحٍ أخويّة. هناك شابٌّ درزيٌّ كان يقول حينما يتحدّث عن الدّروز: إخواننا الدّروز، وكأنّه ليس منهم»، يقول محمّد؛ ويكمل خالد «كنّا نضيف حرف القاف على كلماتٍ ليس فيها قاف. وكان عندما يتلفّظ أحدهم شيئاً غير صحيح

عيدٌ إسلاميٌّ - مسيحيٌّ

كذلك أكّد الشّيخ محمّد النّقري في كلامه ضمن فعاليات الأكاديميّة أنّ الجهل هو مصدر خوف المسلم والمسيحيّ. فالمسلم المتنوّر والمسيحيّ الحقيقيّ لا يخافان أبداً. «لا يجب التّسرّع وبناء الأحكام المسبقة لأنّ الحلول الفرديّة مدمّرة، بل يجب وضع الذّات مكان الآخر. فإذا قرأتُ كتاباً، من الأفضل أن أتقمّص شخصيّة الكاتب وموقعه لأفهمه حتّى يكون النّقد بنّاءاً، لا مدمّراً». وتابع التّحدّث عن اختباره مع العذراء مريم «محبّة سيّدتنا مريم دفعتني إلى أن أبشّر بها، فناديت بوجوب احتفال المسلمين بأعياد مريم، وكان عيد البشارة عام 2007، الذي أقرّته الحكومة آنذاك بشكلٍ رسميٍّ، عيداً إسلاميّاً - مسيحيّاً».

يقول رمزي فوراً: أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم. وبالنّسبة إلى الشّيعة تحديداً، كنّا ننسب إلى ساري وحسن سلاح المقاومة، ونقوم بدور الخائفين منهم. كلّ ذلك كان يتمّ في جوٍّ من المرح وبكلّ احترام».

في الشّهرات أيضاً، كان يجتمع الطّلاّب لتبادل الأحاديث والخبرات. «تشاركتُ وغيري بمشاكل شخصيّة لم أخبرها لأحدٍ سابقاً وتفاجأت من وقوف الجميع إلى جانبي للمساعدة بشكلٍ عمليٍّ فعلاً. شخصيّاً، بتّ أدرك قيمتي، صرت أعرف كيف أعبّر عن رأيي من دون أن أخاف أو أن يسكتني أحد، ومدركاً وجود من سيسمعني ويفهمني. كما اكتشفت أنّ الدّين يجمع ولا يفرّق. لم أتوقّع أن أهتمّ بهذا الموضوع بتاتاً. فبصراحة، أنا لم أكن متديّناً، لكن بعد عودتي من الأكاديميّة تقرّبت من اللّه أكثر». يقول رواد بفرحٍ والبسمة مرسومة على شفتيْه.

وتضيف أدريانا عن لعبة أثّرت فيها: «كان على كلّ طالبٍ أن يخبر قصّة عنه أو يُدلي برأيه في موضوعٍ ما، ويبدأ بالكلمة التي انتهى بها من سبقه. حينها اكتشفت أنّه بإمكاني مشاركة إحساسي وشعوري ومشاكلي مع أشخاص مختلفين عنّي بالدّين أو المنطقة أو الثّقافة. لقد بدأت اللّعبة: أنا أدريانا طالبة في العلوم السّياسيّة واشتركت في أكاديميّة حوار الأديان. التّالي يكمل: أكاديميّة حوار الأديان أتاحت لي الفرصة... حتّى وصلنا إلى أمورٍ شخصيّة وعميقة. لم ننم حينها قبل السّاعة الثّالثة ليلاً».

تعلّمت أن أجاهر بديانتي

«أنتَ سببٌ إضافيٌّ يا جاد لأتأكّد أنّ اللّه يحبّني». استهلّ رمزي بهذه الكلمات سهرة الوداع، وشرح: «كلّما أتعرّف على شخص، خصوصاً إنْ كان مختلفاً عنّي في الدّين أو الخلفيّة أو الثّقافة، أتأكّد أكثر فأكثر، من أنّه سببٌ جديدٌ ليكبر إيماني بوجود اللّه، وحبّه لنا، وأكتشف شيئاً جديداً عنه. صرت أؤمن أنّ اللّه موجودٌ في كلّ إنسان، ويمكننا أن نصل إليه مهما اختلفت ديانتنا ولغتنا... ليس علينا إلاّ أن نحبّ».

> المختلف عنّي في الدّين أو الخلفيّة أو الثّقافة سببٌ جديدٌ ليكبر إيماني

تمارا من جهتها تشير إلى التّغيير والجسور التي بناها الطّلاّب «عندما أبدأ التّغيير من ذاتي، وعندما يفعل كلّ شخص هذا، سينسحب ذلك على كلّ المجتمع حتماً. هذه الأكاديميّة أعادت الأمل، بالنّسبة إليّ، بلبنان بسبب وجود شبابٍ مسؤولين واعين ينشرون السّلام في خضمّ صراعاتٍ نعيشها. فالأديان مصدرٌ للسّلام لا للتّفرقة والخلاف. ببساطة، خلقت هذه الأكاديميّة عائلةً، ووصلت الجسور بين شبابٍ من مختلف الطّوائف». وتضيف أدريانا عن ديانتها: «اكتشفتُ أن مسيحيّتي هي جسر عبورٍ لي نحو الآخر. أنا لم أكن أعلن ديانتي أبداً كي لا يتّهموني بالطّائفيّة. لكن بعد انتهاء المشاغل التي تقسّمنا فيها حسب ديانتنا، اكتشفتُ وتعلّمتُ أن أجاهر بديانتي. وبذلك اقتربتُ أكثر من الآخر وتواصلتُ معه. فمَن يُصرّح عن ديانته ليس طائفيّاً بالمعنى السّلبيّ كما يتّهمه بعض النّاس، بل الدّين هو جسر عبورٍ وانفتاح».

وفي ختام اليوم الأخير، سُئل كلّ مشاركٍ عن تقييمه، فرفعت آن - ماري عينيْها محدّقةً بثقةٍ كبيرةٍ نحو الكاميرا لتجيب: «دخلت مسيحيّةً وخرجت لبنانيّةً»، مبيّنةً اعتزازها وفخرها ببلدها لبنان. ثم تابعت: «المعرفة هي أساس المحبّة، فلا محبّة من دون معرفةٍ وانفتاحٍ وتلاقٍ».

في عينيْه شعلة أملٍ وحبّ

يُبدي محمد رأيه في هذه التّجربة التي عاشها: «خلال اثني عشر يوماً خلقنا «لبناناً» صغيراً بتنوّعه واختلافاته. لبنان الذي نحلم به. أتمنى أن يشارك كلّ لبنانيٍّ في أكاديميّةٍ كهذه ليدرك معنى أن يكون لبنانيّاً».

الدّكتور فهد مؤسّس الجمعيّة وصاحب المشروع كانت له كلمة الوداع الأخيرة، تكلّم عن التّغيّر الذي حصل ومستقبل الأكاديميّة: «أثر اندماج الطّلاّب فيّ وخرق قلبي، صرنا مجموعةً واحدةً بشكلٍ عفويٍّ وسريعٍ وعميقٍ وعجائبيٍّ». ثمّ أضاف وفي عينيْه شعلة أملٍ وحبٍّ وثقةٍ بالرّسالة: «دور الأكاديميّة هو وضع كلّ الإمكانيّات المتوفّرة في خدمة الشّباب المتنوّعين، الآتين من مختلف الطّوائف والمجموعات، ومن مختلف المناطق اللّبنانيّة. هي مساحة محبّةٍ وحوارٍ وتلاقٍ ورجاءٍ في هذا الوطن الذي خلق منذ نشأته فسيفساء للأديان؛ والفسيفساء سريعة العطب. فدورنا أن نجدّد هذا العقد الاجتماعيّ بين اللّبنانيّين لنكون أهل هذا الميراث. وبدل أنْ نلعن الحروب الأهليّة والظّلام، فلنحاول أن نخلق فرصاً، ومستقبلاً أفضل لأولادنا. اليوم وقت الزّرع قبل أيّ نزاعٍ. وبقدر ما نكون حريصين على غنى تراثنا وكلّ المجموعات الثّقافيّة، بقدر ما نكون أمناء للبنان.

المسيرة مستمرّة والشّعلة ستظلّ مستمرة لأنّها وليدة محبّةٍ وإيمانٍ ورجاءٍ لبناء الوطن».

إيلي عازار